فتح الودود
شرح حائية أبي بكر بن أبي داود

الشيخ رزيق بن حامد القرشي
-حفظه الله تعالى-

http://ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوْذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ ﴾ [1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿1﴾ ﴾ [2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ ﴾ [3]

أما بعد :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ الله وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ – ﷺ – ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار .

ثم أما بعد :

أيها الإخوة والأبناء مما تقدم في هذا الكتاب ؛ وهو شرحٌ على قصيدة أبي بكر ابن أبي داود .

---

[1]) سورة آل عمران [الآية :102] .
[2]) سورة النساء [الآية : 1] .
[3]) سورة الأحزاب [الآيتان : 70 - 71] .

جاء الكلام فيما تقدم حول الرد على الخوارج ، وبعد أن انتهى من ذلك انتقل إلى الكلام على فرقةٍ لا تقل خطرًا عن الخوارج ، إن لم تكن أخطر ، ألا وهي فرقة المرجئة ، تلك الفرقة التي أحدثت في الدين ما ليس منه ، وحرفت في معاني القرآن والسنة .

قال أبو بكر ابن أبي داود في قصيدته :

وَلَا تَكُ مَرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمَرْجِي بِالدِّينِ يَمْزَحُ

المرجئة لمن تفكر في أقوالهم وتقريراتهم وأفعالهم ، يجزم تمامًا أنهم يلعبون بهذا الدين ، ولا يقيمون وزنًا للأدلة التي تُطرح عليهم من الكتاب والسنة ، وذلك لشدة توغلهم في هذا المعتقد الخبيث الذي طرأ على الأمة ، وذلك في صدر هذه الأمة في القرون المفضلة ، ولكن بفضل الله – سبحانه وتعالى – وكرمه ومنته أن انبرى لهم من أهل السنة العارفين بها والداعين إليها ، من كشف هذه العقيدة المنحرفة .

قال أبو مُحَمَّد : وهو الإمام أبو مُحَمَّد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري قال : " غلاة المرجئة طائفتان ، الطائفة القائلة بأن الإيمان قولٌ باللسان ، وإن اعتقد الكفر بقلبه ، فهو مؤمن عند الله تعالى ، وليٌّ لله – عز وجل – من أهل الجنة "

وهذا قول مُحَمَّد بن كرام السجستاني وأصحابه وهم بخراسان وبيت المقدس ، هذه الطائفة كانت بخراسان وفي بيت المقدس قالوا بهذا القول – نسأل الله العافية والسلامة – .

والطائفة الثانية القائلة : أن الإيمان عقد القلبي ؛ وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقيةٍ وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك ، فهو مؤمنٌ كامل الإيمان عند الله – عز وجل – وليٌّ لله من أهل الجنة .

فهاتين الطائفتين غالية ومتوغلة في هذه العقيدة عقيدة الإرجاء ، ولذلك لم يبق بعد أقوالهم هذا كفر إذا أدخلوا اليهودية والنصرانية ، حتى إبليس أدخلوه في الإيمان

فماذا بقي من الكفر ؟

لا يوجد أحد كافر ، على هذه الأقوال لا يوجد كافر – والعياذ بالله – ، وهذا القول هو قول أبي محرز جهم

بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريح التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخرسان ، كذلك كقول أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي البشر الأشعري البصري ، ذكر هذا صاحب كتاب " الفصل في الملل والنحل والأهواء "

ويقولون أيضًا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ؛ لأن الأعمال ليست من الإيمان حتى يزيد بزيادته وينقص بنقصانه ، فالإيمان هو إقرار القلب فقط ، والإقرار لا يزيد ولا ينقص ولا يضر مع الإيمان ذنب ؛

وهذه الأقوال – فعلا – هي من اللعب بما كان .

فأين هذا العقل الذي يعولون عليه في فهم النصوص ؟

هذه الأقوال التي سبق ذكرها الآن جميعها تصادم القرآن والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة مصادمة تمامًا .

الله – عز وجل – يذكر في آيات – ستأتي معنا – الإيمان وحقيقة الإيمان وزيادة الإيمان وتفاضل أهله فيه وآيات كثيرة ، والنبي – ﷺ – له أحاديث وكذلك من آثار الصحابة ، ومع هذا لم يلقوا لها بالًا ولم يرفعوا بها رأسًا أبدًا ، ولا عولوا عليها في الفهم أبدًا ، ولذلك أهل السنة سعداء .

أهل السنة سعداء ، لماذا ؟

لأن الله – عز وجل – وفقهم لكتاب الله وسنة النبي – ﷺ – فلزموا ذلك ولم يغيروا ولم يبدلوا ، وكان فهمهم للكتاب والسنة على مراد الله – عز وجل – وعلى مراد النبي – ﷺ – ، فلذلك توارثوا هذه العقيدة عقيدة التوحيد والإيمان ، توارثوها كابرًا عن كابر فوفقوا في ذلك ، وما رفع أحدٌ من أهل البدع رأسه ببدعة إلا دمغوه بالكتاب والسنة – ولله الحمد والمنة – ، فلذلك لابد لطلاب العلم أن لا يملوا من الطلب وخاصةً علم العقيدة ؛ لأن هذا الذي نراه من الجهل ومن العقائد والتفرق في الدين كل ذلك سببه البعد عن العلم الحقيقي من الكتاب والسنة ، فما زاغ من زاغ إلا بجهله وهواه ، وما ثبت من ثبت على عقيدة السلف إلا لمَّا وُفق للعلم النافع من الكتاب والسنة ، وأخذ عقيدته من ميراث النبوة ، ومما كان عليه الصحابة ، ومما كان عليه أئمة الإسلام من التابعين ومن تبعهم بإحسان ، فلذلك العلم هو الطريق الصحيح للنجاة من الانزلاق والولوج في هذه العقائد المنحرفة ، ولكل قومٍ وارث ، حتى في هذا الزمان وُجد من يقول بأقوال المبتدعة والفرق ، وُجد من

هو تبعٌ للرافضة ، ووُجد من هو تبعٌ للمرجئة ، ووجد من هو تبعٌ للخوارج ، ووجد من هو تبعٌ للقدرية ، ووجد كثيرًا الآن – نسأل الله العافية والسلامة – .

فلكل قومٍ وارث ، وقد تختلف المسميات ، قد يأتي إنسان يرى أن المرجئة على خطر ، ولكن لجهله بما هم عليه من العقيدة قد يقول بقولهم ، وهو لا يدري والسبب في ذلك جهله ؛ جهله بعقيدة أهل السنة والجماعة .

ولذلك لا بد من العلم ؛ وليس العلم فقط أن تتعلم عقيدة أهل السنة والجماعة ، هذا أمر مطلوب ويجب عليك أن تفعل ذلك ، وإنما أيضًا أن تتعلم هذه العقائد ويكون عندك علم بهذا الانحراف ، حتى لا تقع فيه .

فتتبين الأشياء بأضدادها ، إذا عرفت السنة لابد تعرف البدعة ، إذا عرفت الإيمان لابد تعرف الكفر ، إذا عرفت الشرك لابد تعرف التوحيد ، وهكذا حتى تسلم من الوقوع في هذه العقائد المنحرفة .

ثم انتقل – رحمه الله – إلى باب آخر ألا وهو " الإيمان عند أهل السنة والجماعة ":

قال – رحمه الله – في قصيدته :

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِي مُصَرِّحُ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يُنْمَى وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

هذا تقرير من الإمام أبي بكر ابن أبي داوود ؛ تقريرٌ منه لعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان ، أن الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد يزيد وينقص ؛ تقرير ، ولذلك هذه الأبيات على قلتها إلا أنها تبين معتقدًا عظيمًا جدًّا ، ويبدو – والله أعلم – أن هذا النظم الذي نظمه كان لمختارات من عقيدة أهل السنة والجماعة ، كان الخلاف فيها على زمنه ، وإلا معتقد أهل السنة والجماعة أوسع من هذه الأبيات بكثير جدًّا ، لكن اقتصر في النظم على ما كان موجودًا من الخلاف ، هناك في هذه الأشياء ولذلك بيّن معتقده في هذه الأبيات الجميلة العظيمة الواضحة التي بيّنت مسألة عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان .

يقول : " الإيمان قولٌ وعملٌ " : قولٌ باللسان وعملٌ بالقلب واللسان والجوارح ؛ فقول القلب هو التصديق ، وقول اللسان هو التكلم بكلمة الإسلام ، وعمل القلب هو النية والإخلاص وعمل الجوارح هو الانقياد لجميع الطاعات .

فإذا زالت جميع هذه الأربع ؛ قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح ، زال الإيمان بالكلية ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع البقية ، فإن تصديق القلب شرطٌ في اعتقادها وكونها نافعة ، وذلك كمن كذّب بأسماء الله وصفاته ، أو بأي شيءٍ مما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه .

وإن زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان كله بزواله ، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب .

وإذا قال : " عمل القلب " يقصد به الإخلاص ؛ وهو محبته وانقياده ، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول – ﷺ – بل ويقرون به سرًّا وجهرًا ويقولون : ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به .

والذين قالوا الإيمان هو التصديق فقط المرجئة ، زعموا أن الإيمان يعني التصديق حقيقة ، وإطلاقه على الأعمال مجازًا ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ردًّا مقنعًا فليراجع ؛ طبعًا هذا في الفتاوى .

والإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأهله في تفاضل .

أما دليل زيادة الإيمان ونقصانه فمن قوله – جل في علاه – :﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (4) ، ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (5) فالمتفكر والمتدبر لهذه الآية يجد أنه أثبت لهم إيمانًا وأثبت حين الطاعة أن يزيد هذا الإيمان ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (6) فهذا دليلٌ قاطع على وجود الإيمان معهم ودليلٌ قاطع أنهم إذا قاموا بالطاعات ازداد الإيمان .

وفي قوله – عز وجل– :﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ (7)

وفي قوله – سبحانه وتعالى – :﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ﴾ (8) .

وفي قوله – جل ذكره – :﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (9) .

---

[4]) سورة الفتح [الآية : 4].
[5]) سورة الفتح [الآية : 4] .
[6]) سورة الفتح [الآية : 4].
[7]) سورة الكهف [الآية : 13] .
[8]) سورة مريم [الآية : 86].
[9]) سورة المدثر [لآية : 31] .

وقوله – تعالى – :﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (10)حين أن تتلى عليهم الآيات يزدادوا بذلك إيمانا ، والآيات في ذلك كثيرةٌ جدًّا .

وأما من السنة فحديث حنظلة حديثٌ واضح ، أقره أبو بكر الصديق وأحس بما أحس به حنظلة قال : " لقيني أبو بكر فقال : "كيف أنت يا حنظلة ؟ " قال : " قلت : نافق حنظلة " ، قال : " سبحان الله ، وما تقول ؟ " ، قال فقلت : " نكون عند رسول الله – ﷺ – يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله – ﷺ – عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا ، قال أبو بكر : " فوالله إني لألقى مثل هذا " ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله – ﷺ – وقلت :
" نافق حنظلة يا رسول الله " ، فقال رسول الله – ﷺ – : (وَمَا ذَاكَ ؟) قلت :" يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأن رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا " ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُوا عِنْدِي فِي الذِّكْرِ ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [رواه مسلم] .
وهذا دليل قاطع على أن الإنسان عندما يكون يُمارس في الطاعات هذا جانب ، أو عندما يكون ذاكرًا لله هذا جانب ، أو عندما يكون جالسًا مع أهل الخيرِ وأهل الصلاح لا شك ولا ريب أن هذه المواطن مما تزيد في الإيمان .
ولا أظنُ أحدًا من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة إلا ويحسُ بهذا ؛ وهذا أمر وفعل موجود عندما تكون مع الكتب ومع القراءة ومع الطاعة مع القرآن مع السنة مع أهل السنة ، تجد نفسك أنك يعني تحس بنشوةٍ في عمرك وفي حبٍ للطاعة وتريد أن تتزود وتريد أن لا تملَ من ذلك ، وعندما تلهو تحس أنك ارتخى فيك شيءٌ قليل ، فلذلك أهل العلم على طَوْل أهل الحديث تجدهم على طول مع الحديث ، أهل القرآن مع القرآن ، أهل السنة مع أهل السنة بخلاف ما عليه أهل البدع فهم لا يركنون إلى الدين الصحيح ، ولا يركنون إلى الطاعات إلا وخلطوها بالأهواء والبدع ، وحديث حذيفة يبين ذلك ؛ حذيفة ابن اليمان عندما قال : (تُعْرَضُ الْفِتَنَ عَلَى الْقُلُوبِ عرضَ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّمَا قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّمَا قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ كالصَّفَا لَا تَضُرُّهُ فِتَنٌ)

[10]) سورة التوبة [الآية : 124] .

لمـــــــــــاذا؟

لأنها قد تتالت عليه الطاعات .

فماذا يحدُث في هذا القلب ؟

يزداد إيمان حتى يبيض ، فما تستطيع أبدًا أن تدخله الفتن .

(وَالآخرَ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ) .

فلا يجلسُ أبدًا ولا يركن إلا إلى الهوى وإلى المعاصي وإلى البدع وإلى الأهواء ؛ لا يركن إلى السنن أبدًا . فهنا كلما جاءت فتنة سواءً من فتن المعاصي أو من فتن الشهوات أومن فتن الشبهات ، كلما جاءت فتنة وأخذها نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاء حتى يسودَ قلبه ويكون على هذا الوصف الذي وصفه النبي – ﷺ – فهذا دليل على : نقصان ، نقصان ، نقصان في الإيمان حتى أصبح هذا القلب مُسودًّا والعياذ بالله .

وأما قوله في تفاضل أهل الإيمان كما ذكر أبي بكر بن أبي داود في قصيدته :

ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي وَتَارةً بطَاعَتِهِ يُنْمَي وفي الوَزنِ يَرْجَحُ

قلتُ : وأما تفاضل أهل الإيمان ففي قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) ﴾ (11)

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (12)

[11]) سورة الواقعة [الآية : 10] .
[12]) سورة الواقعة [الآية : 27] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(91) ﴾ .( )[13]

وقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) ﴾ .( )[14]

وهذا أيضًا من الأدلة التي تبين أن النّاس يتفاضلون في الإيمان ، فمنهم من قد يبلغ إيمانه درجة الكمال و ينتقل إلى درجة الإحسان ، من كثرة طاعاته وخشوعه لله – عز وجل – وإعراضه عن كل ما يخدش هذا الإيمان وما ينقصه ، فينتقل من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان ومنهم من يلهو ويلغو ، ويقع في المعاصي ، وينقص إيمانه حتى ما يبقى منه مثل حبة الخردل أو أقل من ذلك .

وفي الحديث قوله – صلى الله عليه و سلم – : (إِنَّ الله يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وزن دِينَار مِنْ إِيمَان ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه نِصْف دِينَار مِنْ إِيمَان) (15)
ولا شك أنه كلما زاد الإيمان زاد وزنه في الميزان عند الله – تبارك وتعالى – لأن الأعمال توزن يوم القيامة ، فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة كان من أهل السعادة ورجح به الميزان ، كما تقدم أن الأعمال توزن يوم القيامة وكذلك أصحاب الأعمال يوزنون .
قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (7) ﴾ . ( )[16]
فلذلك يثقل الموازين " الطاعات " ويخفف موازين " المعاصي " ، فلذلك العبد الصالح ينشغل في تثقيل موازينه بالأعمال الصالحات ويتوكل على الله – سبحانه و تعالى – .
يوم القيامة الحساب بالأعمال ، ليس هناك درهم ولا دينار وإنما بالحسنات والسيئات ، فمن زادت حسناته بعد فضل الله – عز وجل – نجا وسلم ، ومن فرّط ووقع في المعاصي كبيرها وصغيرها سيندم ولكن نَكِلُ أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

---

[13]) سورة الواقعة [الآية : 88- 91] .
[14]) سورة فاطر [الآية : 32] .
[15]) حديث الشفاعة رواه البخاري (44-4476 – 6565 -7410 -7440 -7509 -7510 -7516) ومسلم (193) (322 – 323 – 324 – 325) عن أنس .
[16]) سورة القارعة [الآية : 6- 7] .

ولذلك أهل السنة منذ عهد النبي – صلى الله عليه و سلم – إلى يومنا هذا ؛ فهم على هذا المعتقد في القول بأن الإيمان : قولٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

يقول الإمام أحمد : من قال أن الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء من أوله وآخره .

وفي هذا الزمان خرج علينا من أهل البدع والذين ولغت ألسنتهم وزلت أقلامهم وشردت أفهامهم عن الكتاب والسنة من يرمون علماء السنة بالإرجاء ، يقرّرون عقيدة أهل السنة والجماعة ومع ذلك لا يقبلون ، يرمونهم بالإرجاء ، كما فعل الإخوان المسلمون عاملهم الله – عز وجل – بما يستحقون مع علم من أعلام السنة في هذا الزمان ، شهد له القاصي والداني بأنه على منهج السلف لم يغير ولم يبدل ومع ذلك قالوا بأنه مرجئي قالوها عن الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – مع أن الشيخ كتبه بين أيدينا ومقالاته بين أيدينا كتاب الإيمان لشيخ الإسلام مُحَمَّد ابن عبد الوهاب خرجه ولم يقبلوا ذلك أبدًا يقولوا أنه مرجئي ولذلك – رحمه الله – دعا على من رماه بالإرجاء ؛ أول من رماه بالإرجاء فدعا عليه فهو في حالٍ إلى الآن ما يعلمه إلا الله من الأمراض التي تسلطت عليه ، لا أشك أن دعوته استجيبت ، لما ألف كتاب الإرجاء ورمى هذا الشيخ بالإرجاء ، ونحن نسمع ونقرأ كلامه ؛ لم نسمع فقط ما قاله في الأشرطة بل وكنت جالسًا بين يديه وأسأله في الأردن ، قال : " أتظن أني أقول بقول المرجئة " ، قلت : " أريد أن أسمع ياشيخ " قال : " تسمع ما يسرُّك في هذا الدرس " ، فذكر وردَّد وردَّد وردَّد أن الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص ، وذكر كلام الأئمة في تلك الجلسة ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ، وغيره كثير من أهل السنة يُرْمَون بهذه العظيمة – نسأل الله العافية والسلامة – .

ثم انتقل – رحمه الله – إلى أمرٍ آخر ألا وهو النهي عن تَتَبع آراء الرجال بلا دليل ؛ ويقصد بذلك الذين يقلدون آراء الرجال ولا يقفون على النصوص الشرعية من الكتاب والسّنة ، قال – رحمه الله – :

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلِهِم فقَوْلُ رَسُول اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ؛ إذا وجدت الكتاب والسنة ومن يقل بالكتاب والسنة .

لماذا أنت تحتاج لآراء الرجال ؟

لماذا تحتاج لأن تقلد الرِّجال ؟

خذ من المعين الصافي من كتاب الله وسنة النبي – ﷺ – ، وهذا أيضًا فيه الحث على اتباع السنة والأخذ بها وتتبعها وترك ما خالفها من آراء الرجال ؛ فإن الرأي مع وجود السنة لا خير فيه ؛ بل يكون تعصبًا وجمودًا – والعياذ بالله – .

وهذا يحصل عند أهل الجمود على المذاهب وكذلك عند الفرق الضّالة ؛ حيث يُقَدِّمُ لها المُنَظِّر فتسلم لجميع أقواله حتى ولو كانت مخالفة للسنة وهذا جمودٌ حزبي وتعصبٌ مذهبي .

ولذلك أهل السنة يشددون على هذا ؛ ترك الكتاب والسنَّة والأخذ بالآراء ، عندما يطرق سمعك النَّص من الكتاب والسنة لابد أن تُذعن ولابد أن تُسلِّم لنصوص الكتاب والسنة كما سلَّم من كان قبلنا ؛ فكلما سلَّمت واستسلمت للكتاب والسنَّة كلما فُزْت في الدارين ؛ دار الدنيا والآخرة ، وكلما تعصبت لرأيٍ يخالف الكتاب والسنة كلما قسا قلبك وابتعدت عن الفهم الصحيح للكتاب والسنَّة .

ولو أردتُ ضرب الأمثلة على التعصب الحزبي والمذهبي والجمود الفكري وما له من آفات في تفريق الأمة وتشتتها وتمزقها إلى شِيَعٍ وأحزاب لطال بنا المَقال والمُقام في ذلك ، ولكن من أراد أن يقف على شيءٍ فعليه بالرجوع إلى كتب الرُّدود في ذلك يجد ما يشفي غليله ؛ فمن تلك المراجع : كُتب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وكتبُ تلميذه ابن القيم وغيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين التي تبيّن فساد هذا الجمود وهذا التعصب المذهبي والتعصب الحزبي ؛ وواقع الأمة المؤلم وخاصة هذا العصر يشهد بذلك ؛ فها هي الأمة الإسلامية متفرقة متشتتة بسبب هذا التعصب الحزبي المقيت فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كثيرٌ من الناس في هذا الزمن يصدق عليه قول الحق – تبارك وتعالى – : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ (17) تركوا الطريق الصحيح الذي رسمه النبي – ﷺ – وذهبوا إلى تتبع آراء الرجال ، وكلٌ تصدَّر وتسمى باسمٍ وخطَّ له خطًّا وجاء من يتعصب له ، فتُطرق أسماعهم بالآيات والأحاديث التي تدل على هذه الحزبية المقيتة ومع ذلك لا يقيمون للآيات والأحاديث والآثار وزنًا أبدًا ، إنما القول ما قاله صاحبهم أو مقدمهم ، وهذا تعصب وفيه شَبَه للمشركين – والعياذ بالله – وتشبه بالمشركين – والعياذ بالله – ، هذا القرآن يبيّن هذه العظائم ؛ وهم لا يقيمون لذلك وزنًا ، ولا شك ولا ريب أن قول رسول الله – ﷺ – هو الأزكى والأشرح ، وهو الذي لا بد أن تتعصب

---

[17]) الآية (31 /32) من سورة الروم

له ويؤخذ به مطلقًا ؛ لأن فيه الهدى والنور ، كيف لا والنبي – ﷺ – يحث على ذلك بقوله : (عَلَيْكُم بِسُنَتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِيْنَ مِنْ بَعْدِي ، تَمَسَّكُوا بها ، وعَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجِذِ ، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الْأُمورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالةٌ وَكُلَّ ضَلَالةٍ فِي النَّار) (18)هذه الأحاديث تحتاج من طالب العلم أن يتفكر قليلًا ، قليل يتفكر ويتدبر .

مـــا المـــــراد من أمر النبي – ﷺ – (عَلَيْكُم بِسُنَتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ) ؟

هذا أمرٌ من النبي – ﷺ – أن نقف على هذا ولا نتعد وأن نترك آراء الرجال ، والاندراج خلف كل ناعقٍ وكل داعٍ لحزبيةٍ وعصبيةٍ ومذهبية ، نقف على السنة فقط ، النجاة في السنة ، السبل الهدامة النبي – صلى الله عليه وسلم – بيّن أنها طرق للهلاك ، كما جاء في حديث ابن مسعود خطَّ لنا رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ – خطًّا مُسْتَقِيمًا ، فقال : هذا سَبيلُ اللهِ ، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ خُطُوطًا ، فقال : هَذِهِ السُبُل ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْه ، ثُمَّ تَلَا قَولُه تَعَالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (19)، تقوى الله – عز وجل – في امتثال أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – ، النجاة يوم نلقى الله – جلَّ وعلا – في لزوم الصراط المستقيم الذي خطه النبي – صلى الله عليه وسلم –

ولذلك لما سُئِل ابن عباس يا ابن عباس ما الصراط المستقيم ؟

ماذا؟

أشار إلى المصحف فقال : الذي طرفه بأيدينا – أي القرآن – وطرفه الآخر في الجنة ، هذا هو الخط المستقيم كتاب الله وسنة النبي – ﷺ – النبي – ﷺ – يحذرنا من السبل ومع ذلك يبيّن أن هذه السبل لها دعاة يدعون إليها ، وهم والله دعاة الجماعات المخالفة ، هؤلاء هم الذين أشار إليهم النبي – ﷺ – على تلك السبل ، فكلٌ له سبيل يدعو إليه ، يَحْرِف الناس عن الطريق المستقيم ، ولذلك سُمّوا أهل الأهواء أنهم قُطاع طرق يقطعون الناس عن الطريق الصحيح ويدعونهم إلى طرق مُهلكة – والعياذ بالله – ، فلذلك صاحب العلم عليه

18) الراوي : -المحدث : ابن تيمية المصدر : منهاج السنة

19) الراوي : عبدالله بن مسعود المحدث : ابن حبان المصدر : صحيح ابن حبان

أن يتمسك بالعلم الصحيح من الكتاب والسنة ويدع آراء الرجال ، إلا إذا وافق رأيه وقوله وافق الكتاب والسنة فحيهلًا ، أما إذا خالف فنضرب به في عرض الحائط ولا نعمة ولا كرامة لرأيه إذا جاء الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ، لأن هذا هو الطريق الصحيح للنجاة يوم أن نلقى الله – عزّ وجل – .

ثمّ انتقل – رحمه الله – إلى أمرٍ آخر ألا وهو : النّهي عن مُتابعة أهل البدع ، والحثّ على لزوم أهل الحديث والأثر.

قال – رحمه الله – في قصيدته :

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِمْ فَتْطَعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

وكأنّه يقصد أهل البدع والأهواء ، ولا شكّ أنّه يقصدهم ، ولا شكّ في ذلك ولا ريب أولئك الذّين يلعبون بالدّين ، ويأخذُون منه ما وافق أهواءهم وعقولهم ويرُدّون أو يأوّلون مالم يُوافق عقولهم .
لذلك أهل هذا المذهب الخبيث اضطرّوا إلى التّأويل ، والردّ للسنّة بزعمهم أنّها لم تُوافق عقولهم ، وذلك إمّا جهلًا بالسنّة حتى ولو كان ذلك بحسن نيّة ، وإمّا أنّهم يعرفون السنّة ، ولكن عندهم اتّباع للهوى مع خُبثٍ في النيّة – والعياذ بالله من ذلك – .
وهؤلاءِ لا دواء لهم إلّا ببيان السنّة لهم ولمن يتّبعهم ، وكذلك بيان فساد مَاهُم عليه ، فإن رجعوا فبها ونعمت ، وإلّا أُخِذَ معهم طريق التّشهير والتّحذير منهم ومن أعمالهم الفاسدة الكاسدة .
هذا هو الإصلاح ، وهذا هو البيان ؛ إمّا أن يرجعوا وإمّا أهل السنّة ماضون في البيان ، وماضون في الردّ عليهم ، وماضون في نقض ما هم عليه من آراء ومن عقائد ومن اتجاهات باطلة ؛ لابدّ من هذا ، من عَرف الحق فعليه أن يصدع به كما صدع به النبي – ﷺ – ثم الصحابة من بعده ثم التّابعين ثمّ تابعيهم و أئمّة الإسلام ؛ يصدعون بالحق ويبيّنون ويردّون على كل من جاء ببدعةٍ أو دعا لهوًى ؛ فبهذا يُحفظ الدّين ، وبهذا تُحفظ عقول النّاس من أن يدخلها بدع وخُرافات .
وهؤلاء من طرقهم في ترويج بدعهم وأهوائهم وأفكارهم ، الطعن على أهل الحديث ووصفهم بأوصاف شنيعة وقبيحة ، والتّعريض بهم في كتاباتهم ومحاضراتهم ودروسهم ، وهذا ليس بجديد ؛ بل هو دأب أهل الأهواء قديمًا

وحديثًا ، فكم صدر من المعتزلة والجهميّة والأشاعرة والخوارج بجميع فرقهم ، والمتصوّفة بجميع طرقهم مثل هذا الطعن .

وهل وقف الطعن على هذه الفئات فقط لأهل الحديث ؟

بل وقع في أهل الحديث ممّن هو ينتسب إلى السنّة ، ومع ذلك يقع في أهل الحديث ويظلم أهل الحديث ، ويظلم أهل المنهج السلفي كثيرًا وهذا واقع .
ولذلك يوم القيامة تجتمع الخُصوم فكيف من كان خصمه أهل الحديث !! أتباع النبي – ﷺ –

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحب نفسه أنفاسه صحبوا

لذلك لمّا سئل الإمام أحمد عن الفرقة النّاجية قال : " إن لم يكونوا أهل الحديث فما أدري من ؟ ".

ومع ذلك وُجد من يطعن فيهم ، ومع ذلك تجده ينتسب إلى أهل السنّة ويقول : نحن من أهل السنّة والجماعة ، ومع هذا يطعن في أهل الحديث ، كم من الطاعنين في أهل الحديث في هذا الزمن ؟ !
جميع أهل الفرق في هذا الزمن يطعنون في أهل الحديث ؛ من الإخوان المسلمين ، من جماعة التّبليغ ، التّكفير ، الهجرة ، السّرورية ، القطبيّة الـ ..الـ...الـ... من الجماعات هذه يطعنون في أهل الحديث ليل نهار ، فطعنوا في الألباني وطعنوا في الشيخ عبد العزيز ابن باز وطعنوا في العثيمين وطعنوا في الشيخ ربيع وطعنوا في الشيخ مُحَمَّد أمان وطعنوا وطعنوا في الوادعي وطعنوا في كل من هو من أهل الحديث ، ويدعو إلى منهج أهل الحديث ، يطعنون فيهم ليل نهار ، وبالمقابل يمدحون أهل البدع الذين هم على شاكلتهم .
فهذا سلمان العوده في كتابه المسمى زورًا وبهتانًا ، جاء في هذا الكتاب لعلي أذكر اسمه فذكر ثلاث فئات ؛ ذكر الإخوان المسلمين وذكر جماعة التبليغ وذكر أهل الحديث ، قال :
أما الإخوان المسلمين فمدحهم وأوصلهم إلى السحاب في مدحه
الكتاب " من أخلاق الداعية " مشهور ويباع في الأسواق ، ثم جاء إلى جماعة التبليغ ولمسهم بشيءٍ ولكن أثنى عليهم في الجانب التعبدي ، ثم لما جاء عند أهل الحديث فقال :

وهناك فرقةٌ أو قال شئٌ من هذا قوم انشغلوا بالحديث في تصحيحه وتضعيفه وو إلى آخره ، مع شيءٍ من قلة التعبد وعدم فهم الواقع ، من يعني بهذا ؛ أهل الحديث لكن يوم القيامة تجتمع الخصوم .

أتباع النبي – ﷺ – إن لم يكن ، يقول الإمام أحمد :

(إن لم يكن الفرقة الناجية هم أهل الحديث فلا أدري من هم).

ولم يسلم أهل الحديث أيضًا من أناسٍ ينسبون أنفسهم زورًا وبهتانًا إلى أهل السنة ، لم يسلموا من ألسنتهم وكتاباتهم ؛ وهنا بيت القصيد كما قيل ، فقال : وتجد فئة ثالثة عنيت بالإسلام العلمي – ها – انظر إلى هذا الكلام .

أنا أوردت كلامه هنا قال : " ولم يسلم أهل الحديث أيضًا من أناسٍ ينسبون أنفسهم زورًا وبهتانًا إلى أهل السنة لم يسلموا من ألسنتهم وكتاباتهم من ذلك وعلى سبيل المثال ؛ ما ذكره صاحب كتاب " من أخلاق الداعية " ، حيث قسم الدعاة إلى ثلاثة طوائف مشيرًا بذلك إلى جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين والسلفيين أهل الحديث ، بعد وصف الجماعة أن كل منهم يتحزب على جزءٍ من الدين ، فلمس جماعة التبليغ لمسةً خفيفة لا تصور ما عندهم من بلاء ، وذكر بعض أعمال الإخوان المسلمين السياسية المأخوذة من أعداء الإسلام وسماها جهادًا وتربية على الجهاد السياسي ، ثم ذكر السلفيين أهل الحديث ، وهنا بيت القصيد كما قيل ، فقال : " وتجد فئةً ثالثةً عنيت بالإسلام العلمي فهي تتعلم السنة والحديث وتشتغل ببيان صحيحها من سقيمها وتحذر الناس من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وقد يصحب ذلك – انظر إلى الشاهد في الطعن – وقد يصحب ذلك شئٌ من الجفاء أو ضعف التعبد أو الغفلة عن واقع الأمة وما يدبر لها " عامله الله بما يستحق .

هؤلاء أهل الحديث يفعلون هذا !!

وماذا أدراك عنهم أنهم قليلي التعبد؟

أكنت معهم في بيوتهم؟

إذًا فلا غرابة أن يصدر مثل هذا أو أشد منه من أهل البدع والأهواء والتصوف ، إذا كان يصدر هذا ممن ينتسب إلى السنة .

نسأل الله العافية والسلامة .

كم يلاقون أهل الحديث ؟

كم يلاقون أهل المنهج السلفي ؟

في هذا الزمان من الطعون من الذين يكذبون عليهم ليل نهار ، ويخططون لهم ليل نهار في تفريقهم وفي التحريش بينهم بين العلماء وطلبة العلم السلفيين أهل الحديث ، ليل نهار يخططون ولكن الله لهم بالمرصاد .

نسأل الله – عز وجل – أن يكشفهم على رؤوس الأشهاد ،
ولا شك عندنا أن الله – عز وجل – ناصرٌ هذه الفرقة الناجية
ناصر أهل الحديث ،
ناصرٌ لأهل المنهج السلفي ؛ فلذلك نقول للسلفيين اثبتوا فأنتم على الحق لا يغرنكم تلك الهالات ، كم من الناس الذين وصلوا مواصل عظيمة جدًّا في المدح وفي الشهرة ومع ذلك الله – سبحانه وتعالى – أعادهم إلى التراب ، ولا ذِكْرَ لهم ؛ و بقي ذكر أهل السنة وما صنعوه وما كتبوه وما قالوه وما بينوه من الحق باقٍ إلى أن تقوم الساعة ، فلذلك نقول لطلاب العلم ، نقول لإخواننا وأخواتنا الذين يسمعون أبشروا فأنتم على الحق واثبتوا فأنتم على الصراط المستقيم لا تتزعزعوا ولا تغتروا بأقوال أحد من أولئك الذين يرمون الشبه ليل نهار ، إنما هي أوقات فتزول و يبقى من ثبته الله – عز وجل – على الحق ، ولذلك نحن في حاجة أن نسأل الله – عز وجل – الثبات إذا كان خير هذه الأمة النبي – ﷺ – خير من طلعت عليه الشمس كان يدعو الله و يتضرَّع إليه – عز وجل – أن يثبته فنحن من باب أولى ، ألا تَكَلَّ ألسنتنا من الدعاء و التضرع إلى الله – عز وجل – أن يثبتنا على هذه العقيدة حتى نلقى الله – عز وجل – .

ثم انتقل – رحمه الله – إلى أمر آخر وهو : سبيل النجاة من هذه العقائد التي تقدمت في هذا الكتاب .
ما هو سبيل النجاة ؟
قال – رحمه الله – :

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِه
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

إذا ثبتَّ على هذا طول دهرك إلى أن تلقى الله فأنت على خير، أما إذا ذهبت يمنةً ويسرةً فلا تلومن إلا نفسك ، القصد أن جميع ما تقدم من هذه الأبيات وما فيها من عقائد فإن كل ذلك هو المنهج السليم و الطريق القويم الذي كان عليه سلف هذه الأمة ، فحَرِيٌّ بالمسلم أن يكون ذلك هو معتقده طوالَ عمره حتى يلقى الله – عز وجل – وهو على ذلك فإن الخير كل الخير فيما كان عليه النبي – ﷺ – وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

فادع الله يا أخي المسلم في صباحك و في مساءك أن يثبتك الله – جل ذكره – على ذلك فالنبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول في سجوده : (يَا مُقَلِبَ الْقُلُوب ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِك) ([20]) فنحن في حاجة لذلك أن يثبتنا الله – عز وجل – على هذه العقيدة حتى نلقى الله – عز وجل – .

انتهى بذلك هذا الكتاب وهو فتح الودود شرح قصيدة أبي بكر ابن أبي داود – رحمه الله – .

أسأل الله – عز وجل – أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح ، وأن يثبتنا وإيَّاكم على الحق حتى نلقى الله – عز وجل – إنه ولي ذلك و القادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله و أصحابه أجمعين .

[20]) الرواي : النواس بن سمعان ، المحدث : الألباني ، المصدر : الصحيح الجامع ، الجزء أو الصفحة : 7988، حكم المحدث : صحيح .